

تفريغ

العلماء ورثة الأنبياء

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد زهير الساري المدخلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالدمية الشريعة



قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه

وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة

في النار.

أيها الإخوة في الله الأصل أن الكلمة هذه كما سمعتم في تقديم المقدم أحيانا
الشيخ جميل دراج- جزاه الله خيرا - أنها لصاحب الفضيلة الشيخ العالم
الفقيه صالح بن سعد السحيمي- حفظه الله - ولكن لله- سبحانه وتعالى -

القدرة التامة والمشية النافذة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:30]

الشيخ كان معي على اتصال إلى قبل المغرب بساعة على أساس الالتقاء هنا
ولكن في الساعة السادسة والرابع تقريبا اتصل بي أو عشر اتصل بي ويخبرني
بظرف خاص قاهر حصل له، لا يستطيع معه الحضور فقلت فكل شيء
بقضاء وقدر والكل في أم الكتاب مستطر فالحمد لله على كل حال قال ما
اتصلت لهذا ولكن اتصلت لأنبيكم قلت هذه أيضا أخرى، على كل حال لن
تجدوا عندي ما كنا نؤمله جميعا عند فضيلته- حفظه الله -ولكن العور ولا
العمى فلأن نكون بعين خير من أن لا نكون بكليتهما، فالشاهد قلت نسأل
الله- جل وعلا -الإعانة والتوفيق فأبلغكم سلامه واعتذاره.

وهذه الكلمة كما سمعتم عنوانها، موضوعها عظيم وشريف جدا وكيف لا
يكون كذلك وهو أصل الحياة في هذه الدنيا وفي الآخرة فالمرء إنما يسعد

في دنياه وأخراه بالعلم، والعلم إذا أطلق هو العلم الشرعي الذي جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما ما عداه فلا يعرف ولا يعلم إلا بالإضافة، علم النحو، علم الفلك، علم الطب، وهكذا، أما إذا أطلق العلم فهو العلم بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الذي ورثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل والأنبياء جميعًا من قبله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، فقد جاء في حديث أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - أنه كان في مسجد دمشق جالسًا فجاءه رجلٌ من هذه المدينة مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأله عن هذا الحديث الذي انتزع منه عنوان هذه الكلمة الليلة العلماء ورثة الأنبياء جاء يسأله عن هذا الحديث سافر من هذه المدينة المباركة إلى دمشق الشام لا لشيء إلا لهذا الحديث فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما جئت لحاجة فقال له أبو الدرداء - رضي الله عنه -: فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا - وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا - سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ

الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي
الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ
الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ
-وفي لفظ أبي داود بدون إنما ورثوا العلم -فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ))

جاء عند ابن ماجه -رحمه الله تعالى -في السنن أن هذا الرجل إنما قال ما
جئت لحاجة بناءً على سؤال أبي الدرداء له قال له - رضي الله عنه - : ما
جئت لحاجة قال : لا ، قال ولا لتجارة؟ قال : لا ، فضيق عليه ولا لشيء إلا
لهذا الحديث: قال ولا لشيء إلا لهذا الحديث، قال حينها فإني سمعت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: وذكر هذا الحديث..

فكم في هذا الحديث من المناقب والفضائل والشرف لعلماء الشرع المطهر

أولاً: أن الملائكة تستغفر لهم.

وثانياً: يستغفر لهم كل من في السموات ومن في الأرض.

وثالثاً: حتى الحيتان في جوف الماء.

ورابعًا: بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضلهم وشبههم بالقمر ليلة البدر يعني مثل البارحة على سائر الكواكب وذلك لعموم انتفاع الناس بهم، وعظمة النور الذي يحملونه فيهدون به الناس، والنور الذي يحملونه هو نور الوحي ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى ٥٢]، ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذُكِّرْكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام ١٥٣]

فصراط الله هنا المضاف إلى ياء المتكلم صِرَاطِي جاء مبيِّنًا في الآيات التي قبل قليل تلوك بعضها ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى ٥٣] هذا الصراط الذي أمرنا أن نسأله ربنا كل يوم وليلة في الصلوات المفروضة علينا خمس مرات في اليوم والليلة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ٦ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ ٧ ﴾ [الفاتحة ٦-٧] فالعلماء فضلهم على الناس كبير ونفعهم لهم عظيم فكما أن نفعهم متعدد استحقوا هذه المكانة العظيمة ومن أعظم الشرف الذي ثبت لهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يجعل وارثًا له سواهم

فقال - عليه الصلاة والسلام-: ((إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا

دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)) هذا العلم هو

علم السنة النبوية التي قال فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((أَلَا إِنِّي

أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ

بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ

فَحَرِّمُوهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ))

فهذا العلم هو الذي ورثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا أطلق

العلماء معشر السادة فلا يراد بهم إلا علماء الشريعة ما يمكن أن تفهم عالم

طب من كلمة العلماء أبدًا حتى يقال لك هذا عالم طب طيب هذا عالم

فلك فلكي هذا عالم هندسة مهندس أما اللفظة هذه العلماء إذا أطلقت فهي

لا تنصرف إلا إلى حملة الكتاب والسنة النبوية العلم الشرعي الذي يفيد

صاحبه معرفة ما يجب عليه من أمر عباداته ومعاملاته وما يجب لله - تبارك

وتعالى - من الأسماء والصفات وما يجب له القيام به من الأوامر وما يجب له

علينا من التنزيه عن النقائص التي لا يجوز أن تنسب إليه على حد قوله - تبارك

وتعالى-: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيم ﴿[الجمعة ١]﴾ وعلى حد قوله - تبارك وتعالى - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] فهذا العلم هو العلم الموروث عن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم -،

واستفتح النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث بالتبشير لطالبه قبل أن

يبلغ درجة العلماء بالخير العظيم والأجر الجزيل ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ

عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))، فهذه الجملة معشر الإخوة فيها التنبيه

على قول من يقول إن العلم لا ينفع إلا بالعمل، فيتهاون حينئذ الإنسان بأمر

العلم ويتساهل في طلبه، فحتى لا يسبق إلى الأذهان مثل هذا بدأ رسول الله

- صلى عليه وسلم - بهذا التنبيه العظيم وهو أن هذا العلم من أول وهلة من

حين ما تضع رجلك أول خطوة في الطلب فقد بدأت في الطريق إلى الجنة،

فمجرد السلوك نفع، مجرد البدء بالطلب نفع، مجرد المشي والدخول

والانتظام في هذا الإطار، إطار العلم وأهل العلم وموكب العلماء أنت بدأت

تحصد الأجر، فكيف بك إذا وصلت إلى الفقه والمعرفة في دين الله

وأصبحت طالب علم ثم طالب علم متمكن ثم عالمًا معلمًا فقيه مفتي علامة

مرجعًا للمسلمين هذا أعظم وأعظم.

فإذًا لا بد من ذلك لا بد من مثل هذا التنبيه وهذا فيه رد على ما تسمعه يا أخي
إذا ما نفعك العلم فاتركه غير صحيح، بداية الطلب عليها الأجر أول ما
تسلك يأتي الأجر **((سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))** فهذا العلم يعلم
الإنسان أنه قد وضع رجله في مساره في الطريق الصحيح، فمجرد الطلب
والسعي في تحصيل العلم يحصل به الأجر فينبغي للإنسان ألا يتهاون وألا
يتكاسل في تحصيل هذا العلم والنصب في جمعه والاستفادة من أهله ما
داموا أحياء لأنه إذا بكر علا وإذا تأخر نزل فلا بد له من أن يبكر ولا يتوانى
ولا يكسل إذا سمع مثل هذه البشارة في المقدمة والعلم الشرعي معشر
الإخوان يدور على ثلاثة أركان:

- على التفسير.
- والحديث.
- والفقهاء الذي هو الثمرة.

التفسير: تفسير كتاب الله - تبارك وتعالى - ما فيه من أحكام وأوامر ونواهي، ما
فيه من الأمر بالتوحيد لله - تبارك وتعالى - والنهي عن ضده الشرك، ما فيه

مما ينبه رسول الله- صلى الله عليه وسلم - بسنته المطهرة من التوحيد
الواجب على كل عبد أن يقوم به لله- تبارك وتعالى - فيعرف هذا التوحيد
وما ينافي أصله وما ينافي كماله ثم يعلم الأحكام الشرعية من كتاب الله-
تبارك وتعالى - فيتفقه في دين الله- جل وعز -مبتدئاً بكتاب الله- تبارك
وتعالى -متفهماً معاني الآيات وهذا لا سبيل إليه إلا بالتفسير، وكتب التفسير
على ثلاثة أقسام:

■ تفسير بالمأثور.

■ وتفسير جامع بين المعقول والمنقول، بالمأثور وبالعقل الصحيح
الصريح.

■ وتفسير قد خلا من هذا وذاك.

فينظر إن كان مائلاً إلى اللغة العربية، يشرح كلمات القرآن وألفاظ القرآن
على حسب لغة العرب فإننا نأخذ من لغة العرب ما وافق أمر الشارع- صلى
الله عليه وسلم-، وما خالفه نقول اختلفت الحقيقة اللغوية والشرعية فالحقيقة
الشرعية مقدمة فهذه الكتب لا غنى بنا عنها، الكتب التي فسرت القرآن بلغة

العرب وهذا وجه من أوجه التفسير وجه تعرفه العرب في لغتها كما جاء عن ابن عباس.

وقسم آخر ليس فيه إلا الآراء وكلام المتكلمين فهذه التفسير مظلمة مليئة بالبدع والمحدثات لا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بها، ولا يضيع أوقاته فيها،

بعد ذلك الحديث سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي المفسرة لهذا الكتاب، المبينة له، المقيدة لما أطلق فيه، المخصصة لما عم فيه، الشارحة لهذا الكتاب والجائية بأحكام مستقلة، فالاطلاع الأول على التفسير، والاطلاع الثاني على كتب الحديث، تخرج منه بالأمر الثالث وهو النتيجة الفقه في دين الله - تبارك وتعالى -، فالعلم مداره على هذه الأركان الثلاثة، التفسير والحديث والفقه وهو الثمرة، والناس محتاجون إلى هذا أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب قال الحسن بن صالح؛ الحسن بن صالح بن حي شيخ وكيع: "إن الناس محتاجون إلى هذا العلم في دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب" قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - "بل أشد من

حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب إنما يقوم به الجسم والجسم منتهاه إلى القبر تأكله الديدان، أما العلم فيقوم به دين الإنسان فيسعد في دنياه ويسعد في أخراه فإذا كان هذا الأمر كذلك فحينئذٍ يجب على الإنسان أن يعد كل ما يستطيع من نشاط وقوة ليتوصل إلى هذا العلم الذي يرث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولهذا - عليه الصلاة والسلام - نكر في الحديث الطريق فقال: **((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا))** ونكر أيضًا العلم **((يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا))** فنكر إيش؟ الطريق المسلوك، ونكر المقدار المطلوب، فقال طريقًا وقال علمًا، فالتنكير لقوله طريقًا يفيد العموم، والطرق في تحصيل العلم الشرعي كثيرة منها الأخذ على الأشياخ، والالتقاء بهم، ومنها الرحلة إليهم في بلدانهم، ومنها المكاتبه فيما ليس عندك فيه علم وبلغك عن بعضهم فتكتب إليهم فيكتبون إليك، فكل طريق يؤدي إلى تحصيل العلوم الشرعية والدينية دخل تحت هذه اللفظة "طريقًا" فهي منكورة فأفادت العموم وهكذا العلم **((يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا))** جاء منكراً فتناول جمع ما حصله من العلم القليل والكثير فهو مأجور عليه وفي ذلك بشارة بتسهيل طلب العلم على طالبه إذا هو بدأ فيه، فليستبشر طلبة العلم بهذا **((سَهَّلَ اللَّهُ**

لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)) فالتسهيل بالطريق أو للطريق إلى الجنة معناه تسهيل

لطلب العلم الذي تعرف به الطريق إلى الجنة، فالجنة طريقها صعب

قد حَفَّت الجنة بالمكاره *** والنار بالذي النفوس تشتهي

مع أن كلاً منهما إلينا *** أدنى من الشراك في نعلينا

فالمكاره هذه ما يبئنها لك وبصبرك عليها ويميليك في تحملها إلا قراءتك في

العلم فتقرأ ما أعد الله- جل وعلا - لأهل العلم من الأجر لقاء نصيبهم وتعبهم

في تحصيل هذا العلم وما أعدّه الله- جل وعلا - من الأجر لأهل العلم

والسالكين في تحصيله في قبيل تحملهم العناء من الناس الذي يلحقهم في

بيان العلم لهم وأمرهم ونهيهم فالشاهد يجب على طالب العلم أن يفرح بهذه

البشارة وإذا سمع مثل هذا فإنه تنشط نفسه إلى الطلب لأن الطلب فيه أحياناً

ثقلٌ على النفس، النفس تهوى والنفس تشتهي والنفس تحب الدعة والنفس

تحب الراحة ولكن صاحب العلم في معاناة مع هذه النفس يزمها للخير وهي

تدعوه إلى ضده، ولا يأتي شيء إلا بجهدٍ ونصبٍ ويتعب، فبقدر ما يحصل

منه من التعب بقدر ما يحصل من المثوبة عند الله وأيضاً يحصل من الخير في

هذا العلم وفي هذا الباب الذي تفرغ لسلوكه وكيف يتوانى أهل العلم في طلبه وتحصيله والنبى - صلى الله عليه وسلم - يبشرهم بأن أعظم مخلوقاته وهم الملائكة يضعون أجنحتهم لأهل العلم ولطلبة العلم رضاً بما يصنعون، يتواضع هذا المخلوق العظيم الذي جُبل على طاعة الله - تبارك وتعالى - ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [٢٦] لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 26-27] هؤلاء هم الملائكة خاضعون لله عابدون لله - جل وعلا - ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، هذا الخلق العظيم المبارك مع هذه المنزلة العلية العظيمة التي لهم عند الله - تبارك وتعالى - وبينها الله - جل وعلا - لنا في كتابه وفي سنة رسول - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك يحبون طالب العلم ويحبون أهل العلم ويتواضعون لهم فيضعون أجنحتهم لطلبة العلم ولأهل العلم توقيراً للعلم وتعظيماً لحقه واحتراماً لأهله فيخفصون لهم الجناح ويتواضعون لهم إشادةً بفضلهم واعترافاً بمكانتهم فإذا كان هذا منزلك أيها الطالب للعلم وأيها العالم فكيف تتنازل عن هذه المنزلة وترضى بغيرها، العاقل إذا سمع هذه الجملة وتأملها حق التأمل وتدبرها حق التدبر علم أنه لا شيء في هذه الحياة يعدل العلم ولا شيء يدانيه أبداً فضلاً عن أن يوازيه أو

يفوقه فيبذل فيه كل ما يستطيع من مالٍ وصحةٍ وجهدٍ ووقتٍ لا يقدر على ذلك إلا الضرورات التي لا تقوم حياته إلا بها، هذا هو العاقل، إذا سمع مثل هذا بذل فيه جهده ووقته وصحته وماله ولا يقدم عليه شيئاً من أمور الدنيا إلا الضرورات التي لا يقوم إلا بها، فإذا كان هذا حال الملائكة مع أهل العلم مع طلبة العلم فكيف بالعلماء، فيا معشر الإخوان ينبغي أن يُشاع مثل هذا الحديث ويُتأمل ويُتدبر حقَّ التدبر هذا يُكتب فيه كتاب مجلد لجمع ما فيه من الفضائل لو تأملناه حق التأمل حقيقة لما وجدت طالب علم كسلاناً، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يعرف الكسل في حياته قط يوماً واحداً ولا لحظةً واحدة، حياته كلها جهادٌ وتعلمٌ وتعليمٌ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113] من الفجر إلى الظهر وهو قاعدٌ في أصحابه يعلم - صلوات الله وسلامه عليه - فحينئذٍ ينبغي لطالب العلم أن لا يستكثر على العلم ما يهبه له من الأوقات وينبغي له أن يكون شحيحاً بوقته ضنيناً به لا يفرط فيه إلا فيما لا يقوم حاله إلا به، وخلطته للناس ينبغي أن تكون على قدر بقدر الحاجة والمصلحة، مصلحته مع الناس ومصلحة الناس في حاجتهم إليه وبحاجته التي يحتاج إليها في الترفيه عن نفسه ساعة بعد

ساعة في ما أحله الله وأباحه يستجم فيعود بعد ذلك مستعيناً بذلك على طلب العلم وتحصيله هذا فضلٌ عظيم لأهل العلم وقد أبان الله - جل وعلا - فضلهم في هذه الناحية قد ذكرت هذا مرة أو مرات لبعض إخوانكم الذين درستهم في الكلية عند هذا الموقف ما الذي حصل ممن يستهزئ بأهل العلم وما الذي حصل له في حينه، أخرج الطبراني في السنة وهو مفقود ونسأل الله - جل وعلا - أن يعجل بإظهاره فهو من أعظم الكتب سنة الطبراني ورواه الخطيب من طريقه فمن كتاب الرحلة في طلب الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي الحافظ - رحمه الله - قال " كنا نمشى في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشية وكان معنا رجلٌ ماجنٌ أى فاسق متهمٌ في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها" يستهزئ بطلبة العلم واليوم كم نرى ممن يستهزئ بطلبة العلم وأهل العلم والعلماء ويطعن فيهم وغالبًا ما ترى أن الله يعاجل هؤلاء بالعقوبة الشاهد يقول زكريا بن يحيى الساجي الحافظ - رحمه الله - عن هذا يقول " وكان معنا رجلٌ ماجنٌ أى متهمٌ في دينه يعني فاسق فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها كالمستهزئ فما زال في موضعه حتى جفت رجليه وسقط " هذا بالإسناد

الصحيح سقط هذا صاحب القصة يحكيها جفت رجلاه يبست وسقط عاجله
الله بالعقوبة وأرى الناس فيه عاجلاً غير آجلٍ فأى فضل أعظم من هذا الفضل
يقول لا العلم وأهل العلم المسابقين إلى تحصيله والباذهين.

والمقصود معشر الإخوان أن هذا العلم، العلم الموروث عن رسول الله - صلي
الله عليه وسلم - أهله أشرف الناس لأنهم ورثة النبي - صلي الله عليه وسلم -
الذى يرث الفاضل يناله من فضله والذى يرث الفاجر ينال من فجوره وهنا
رسول الله - صلي الله عليه وسلم - لم يجعل أحداً وارثاً له إلا العلماء قال:

((إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا))، ((نَحْنُ

مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ)) تماماً ما يبقون شيئاً من الدنيا ما

يورثون ما تركوه صدقة لكن ورثوا هذا العلم الذى لا يمكن أن ينتهى ولا يمكن

أن يقدر بثمان من الأثمان، فإذا كان هذا ميراث النبي - صلي الله عليه

وسلم - وقد أخذت به أيها الإنسان استحققت بإذن الله - تبارك وتعالى - أن

يستغفر لك من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان يلهمها الله - جل

وعلا - هذه الحيوانات كلها في السموات وفي الأرض، بل هذا الذى هو

تحت الماء وهو الحوت يلهمه الله - تبارك وتعالى - الاستغفار لهذا الوارث

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبالله عليكم من بلغ هذه المنزلة؟
أسألکم أجيئوا من بلغ هذه المنزلة؟ في أحد يستغفر له حتي الحيتان كل من
في السماء ومن في الأرض يستغفر له ثم بعد ذلك الحيتان في الماء، في
أحد بلغ هذه المنزلة؟ أجيئوا أحد بلغ هذه المنزلة؟ إذا فمنزلة العلماء أعلى
المنازل على الإطلاق، لأنهم قاموا في مقام النبي - صلى الله عليه وسلم -
من بعده - عليه الصلاة والسلام - فلما كان لا أحد يداني الرسول - صلى
الله عليه وسلم - في منزلته التي أنزله الله كذلك لا أحد يداني ورثته - صلى
الله عليه وسلم - وهم العلماء وما ذلك إلا جزاء من الله - تبارك وتعالى -
لهؤلاء العلماء الوراث على عظيم صنعهم وجميل فعلهم وعظيم برهم
وإحسانهم إلى الناس حيث بينوا لهم الأحكام الشرعية وما يحل وما يحرم وما
يكره وما يندب وما يباح هذه الأحكام التكليفية الخمسة فجزاهم الله -
سبحانه وتعالى - على حسن صنيعهم من جملة جزائهم على هذا العمل
العظيم وعلى هذا الشرف الجميل في الناس وبين الناس جزاهم الله - سبحانه
وتعالى - بأن جعل كل من في السماوات ومن في الأرض ومن تحت الماء
يستغفر لهم فهذه المنزلة هي منزلة العلماء عندنا نحن المسلمين ((فَضْلٌ

العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)) البارحة كيف

رأيتم القمر البارحة جمع بين أربعة أشياء :

♦ بين كمال الجمال حيث كملت استدارته وكمل القرص.

♦ ثم شدة الظهور للناس حتى من ضعف بصره البارحة يراه، وهكذا العالم

الحقيقي يعرفه الناس، ومن لم يره يسمع به يطير في الناس خبره، وذلك

بسبب جميل أثره في الناس.

♦ والثالث شدة صفائه ونوره.

♦ والرابع قربه مع ارتفاعه.

وهذا لا يكون في القمر إلا ليلة البدر تراه قريباً ومع ذلك مرتفع، فالعالم

قريب من الناس بفضل مرفعاً عنهم من أجل المنزلة التي أنزلها الله - سبحانه

وتعالى - فيها وهذا حال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريباً إلى الناس

إذا جلس بين أصحابه، عالي عليهم لمكانته التي أنزله الله فيها فكانوا يعظمونه

ويجلونه حتى إن أحدهم يقول يا بني والله لو سألتني أن أصف لك رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - ما استطعت أن أصفه لم؟

من شدة (...). حياةً منه - صلى الله عليه وسلم - أن يتملى في صورته وفي وجهه - عليه الصلاة والسلام - فهذه الأربعة جمعها القمر ليلة البدر وهي موجودة في العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فحيثُ كان نفع العالم متعديًا إلى كافة الخلق بإحياء الدين وإظهار ما أرسل الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - كان هذا العالم بهذه المنزلة ففضله النبي - صلى الله عليه وسلم - على العابد مع أن كل واحد منهما، العالم والعابد قام بعملٍ جليلٍ كريم يستحق عليه التبجيل والإجلال والتكريم،

فهذا عابد لله قائم بما يجب عليه ومسبق إلى ما يستحق له خائف مما حرم الله عليه ومجتنبٌ له ومحاذر حتى من المكروهات التي إن غشيها ربما جرت له للوقوع في المحرمات فهو من أفضل الناس طواعيةً لله - تبارك وتعالى - لكن مع هذا العالم أفضل.

وهذا يدلنا على أن طلب العلم أفضل من نوافل العبادات فإذا كان كذلك فينبغي أن يكون صاحبه أفضل من الذي يصلي النوافل ويشغل بها طول الليل؛ لأن هذا يشغل بما فيه نفع لنفسه وفيه نفعٌ للآخرين فيتعدى نفعه إلى

الآخرين وذاك مشتغل بما فيه نفعٌ لنفسه فكانت الفائدة له في نفسه في محيطه فأشبه الكوكب نوره في دائرته في محيطه أما القمر فلا، مستنير في نفسه ونوره ساطع على الأرض فهكذا العالم في تعلمه أحكام الله مستفيد في نفسه فهو أول من يعرف ما أوجب الله عليه وما أمره الله به وأيضًا يصل ذلك ويوصله إلى الناس فيفقههم في دين الله فهو أفضل ممن يقوم بالعبادة ولا شك النافلة، وذلك لأن هذه الصلوات، هذه النوافل، هذا الصيام، هذا الحج، هذه العمرة، هي في حقه هو، أي أجره له هو ليس بمتعد إليه إلى غيره، أما الفقيه، أما العالم، أما المحدث، أما المفسر فنفعه لعموم المسلمين وذلك لأنه تدبر كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتبصر فيهما فانتفع في نفسه ونفع إخوانه وبلغ في دين الله - عز وجل - فالعالم يضيء حينئذ للناس فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم مثل ما يضيء لهم القمر ليلة البدر، فيعم نفعه ويسطع في الأرض نوره، فيتعدى حينئذ.

ولهذا كانوا في منزلة النبي - صلى الله عليه وسلم - في عموم نفعه - عليه الصلاة والسلام - وقد جاء ذلك مفسرًا مصرحًا في سنن الترمذي - رحمه الله تعالى - فقد خرج الترمذي في جامعه في كتاب العلم: باب ما جاء في باب

فضل الفقه على العبادة، من حديث أبي أمامة- رضي الله عنه -قال: ((ذَكَرَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى
أَدْنَاكُمْ))

رضي الله تعالى عنهم وما فيهم من دنيء ليس فيهم عاجز إلا بطل كما قال
ابن الوردي- رحمه الله -فالشاهد يقول النبي- صلى الله عليه وسلم -وقد
ذكر له هذان عابد وعالم قال: ((فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى
أَدْنَاكُمْ)) فهذا الحديث حديثٌ حسنٌ لغيره وقد حسنه أيضاً الشيخ ناصر-
رحمه الله تعالى -في صحيح الترغيب، وهذا من فضل العالم شوف مات
ونذكره الآن ونستفيد من علمه فنوره مشرق من بعد رسمه.

هم البدور ولكن لا أفول لهم ... بل الشموس وقد فاقوا بنورهم

لم يبق للشمس من نور إذا أفلت ... ونورهم مشرق من بعد رسمهم

ها هو مات ونحن نهتدي بما سطره لنا- رحمه الله تعالى -هو وإخوانه أهل
العلم لا نزال نستفيد منهم فما مات من كتب وألف ونفع الناس وبين لهم

هذا الدين قال ابن حبان- رحمه الله تعالى -في صحيحه كما في الإحسان في المجلد الأول مئتان وواحد وتسعين، قال هذا الحديث فيه بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرناه هم الذين يعلمون علم النبي- صلى الله عليه وسلم -دون غيره من سائر العلوم ألا تراه- صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)) والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا- صلى الله عليه وسلم -هو سنته فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء صحيح أهل الكلام ليسوا من ورثة النبي- صلى الله عليه وسلم -وأهل الفلسفة ليسوا من ورثة النبي- صلى الله عليه وسلم -والمناطقة ليسوا من ورثة النبي- صلى الله عليه وسلم -وأهل الرأي ليسوا من ورثة النبي- صلى الله عليه وسلم -والمثقفون الذين يسمون أنفسهم بالمتقفين لا يفرقون بين الموضوع وما في البخاري ليسوا من ورثة النبي- صلى الله عليه وسلم - وهكذا يقولون، فكل من لم يعلم سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ويتشبه بها ويزم نفسه بزمامها ويجهد في تفقه فيها ومعرفة صحيحها وضعيفها والحرص على أن لا يستدل إلا بالكتاب وسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم - في كل ما يقول ويعرف هل هذا القول الذي استدل به، أو

هذا الحديث الذي استدل به صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أولا يصح هذا هو الذي يقال فيه إنه وارث النبي - صلى الله عليه وسلم - .
أما الذي يجلس في المجلس ويهرف بما لا يعرف فهذا لا يعجز فيه أحد،
كل المتكلمين يستطيعون أن يتكلموا فالشاهد من تعرى من سنة رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ولم يعرفها لم يكن من ورثة رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ومن عرفها وأجهد نفسه في تحصيلها فقد أخذ بأوفر الحظ ((فَمَنْ
أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)) من ميراث النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ابن
عباس - رضى الله عنهما - "تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها"
وهكذا ورد هذا اللفظ عن عددٍ من السلف - رحمهم الله تعالى - جاء أيضاً
عن قتادة وجاء عن الثوري وجاء عن ابن وهب هؤلاء من أشهر الأولين الذين
وردت عنهم مثل هذه العبارة.

يقول ابن وهب - رحمه الله - "كنت جالساً في مجلس مالك أسأله فرآني
أجمع كتبي، أذن المؤذن فرآني أجمع كتبي لأقوم فقال لي أين تريد؟ قلتُ
أبادر الصلاة فقال - رحمه الله تعالى - ليس هذا الذي أنت فيه - يعني

السؤال عن العلم الآن عندي في المجلس - ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صحت النية" يريد أن يقوم يتنفل قبل إقامة الصلاة فمالك قال هو قطع السؤال ووقف، مالك قال له - رحمه الله - أين تريد ؟ قال أبادر الصلاة، يتسنن قبل الصلاة، فقال: " ليس هذا الذي أنت فيه دون الذي تذهب إليه إذا صحت النية"، فدل ذلك على أن العلم أشرف من نوافل العبادات كالصلاة وغيرها إذا صحت النية، إذا كان المقصود بهذا أن طالب العلم يستفيد يرفع عن نفسه الجهل، ينقل هذا العلم الذي تعلمه إلى غيره، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير - رحمه الله - "حظٌ من علمٍ أحبُّ إلى من حظٍ من عبادة" يعني من صلاة أو صيام أو غيرها.

والشافعي - رحمه الله تعالى - يقول بصريح العبارة " طلب العلم أفضل من صلاة النافلة "

فهذا حال العلماء هؤلاء هم ورثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنحن على هذا الميراث العظيم ألا هو الاعتناء بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفقيه إذا لم يكن له حظٌ من السنة ومعرفة الأدلة صحيحها وسقيمها

ففقها أعور أو أعرج لم؟ لأنه تكثر المسائل المنتقدة عليه، يأتي بهذه المسألة
يُوصلها يعترض عليه معترض يقول دليلك ضعيف، طاح مثلها ثانية طاح، مثلها
ثالثة طاح فمشيه كالأعرج هكذا، فإذا لابد من معرفة سنة رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - .

ارو الحديث ولازم أهله فهم ال ... ناجون نصاً صريحاً للرسول نمي

سامت منابرهم واحمل محابرههم ... والزم أكابرههم في كل مزدحم

اسلك منارهمو والزم شعارهم ... واحط رحالك إن تنزل بسوهم

إلى آخر الأبيات التي تعرفونها من ميمية شيخ شيوخنا- رحمه الله - هؤلاء
العلماء هم وراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا الحديث أعظم
حديث يتبين من خلاله مكانة العلم والعلماء، وإذا كان العلماء هم وراث
الأنبياء فلا يجوز الاعتداء عليهم ولا الطعن فيهم ولا التنقص من منزلتهم
العلية التي أنزلهم الله إياها، ولا التعريض بهم بين الناس في المجالس وذلك
لعظيم حرمتهم لأنهم قائمون مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يجوز
لأحد أن يحط من أقدارهم ولا يحقرهم بين الناس بل يجب أن يكرم غاية

الإكرام ويبجل غاية التبجيل ويُنزل المقام الأجل الذي أنزلهم فيه رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وإذا رأيت الواحد ينتقص العلماء، علماء السنة ووراث
الرسول - صلى الله عليه وسلم - فاعلموا أنه زائغ، إذا رأيت الواحد ينتقص
العلماء ووراث النبي - صلى الله عليه وسلم - وحملة سنته والمؤدين لرسالته
والمبينين للناس ما بعثه الله به - صلى الله عليه وسلم - فاعلموا أنه زائغ، لأنه
حينئذ لا يُبغضهم لذواتهم، وإنما أبغضهم للعلم الذي معهم، وذلك لأنهم
يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم وشهواتهم وهذا يريدون أن يبقوا على ما هم
عليه من الأهواء والشهوات، فالناس يتفلسفون والعلماء يحذرون ويمسكون
الناس بالكتاب هذه مكانتهم ورثة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وإذا
كان هذا حالهم وهذه مكانتهم ومهمتهم فلا بد أن يصطدموا بأهل السوء
وأيضاً يُعرف أهل الأهواء والبدع بالوقية في علماء السنة والأثر، ووراث رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا رأيتم الرجل يطعن في حملة الآثار وعلماء
السنة فاعرفوا أنه صاحب بدعة وهوى.

يقول الإمام الشافعي " إذا رأيت الرجل يطعن في أحمد فاعلم أنه كافر فقيل

له كافر، قال نعم لأنه إنما أراد معاندة أحمد ما أراد معاندة شخصه، إنما أراد

معاندة السنة ومن عاند السنة فقد رد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو كافر " هذا هو شيخ أحمد.

ويقول أحمد في حماد بن سلمة " إذا رأيت الرجل يطعن في حماد بن سلمة
فاتهمه على الإسلام " لم؟ قال " لأنه يروى هذه الأحاديث، أحاديث الصفات
وإنما يقع فيه الزنادقة والمعطلة هؤلاء"، ولَمَّا كُتِبَ إِلَى الخليفة المتوكل بحال
الحنابلة طلبة الإمام أحمد - رحمه الله - وأنهم يأمرون الناس وينهونهم وأنهم
وأنهم يعني وجدوا منهم مضايقة قال " لا ترفع إلى عن أحد منهم وشد على
أيديهم فإنهم على الحق كانوا هم وإمامهم " يعني أحمد بن حنبل.

فالتابعين في أهل الحديث وراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل
منحرف لا خير فيه فإن من طعن في ورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما
أراد الوصول إلى السنة التي يحملونها ويدعون الناس إليها.

ولعلنا بهذا القدر نكتفي وإن كنت لا أستطيع أن أوفي هذا حقه، ولعل الشيخ
لو كان معنا لكان أحسن منا وأحسن، ولكن كما يقولون ما لا يدرك كله لا
يترك جله فنسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا

وإياكم من السالكين هذا الطريق المنتهين بوراثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه ويرزقنا الفقه في دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان

الأسئلة:

السؤال:

هذا السؤال دائماً يتكرر، وتكرره بسبب تردد الناس وذهاب هذا ومجيء ذاك، وهو سؤال نحن نتهيب من الإجابة عليه حتى لا نملككم، ولكن الأصل أنه بين الفينة والفينة لا بد أن نعود ونذكر به.

يسأل يقول كيف يتدرج الطالب المبتدئ في طلب العلم وبأي كتب يبدأ؟

الجواب:

نقول:

أولاً: طالب العلم ينبغي له أن يجاهد نفسه في تصحيح النية ولا بد وأن يأتيه في أولها شيء فعليه أن يبتدئ البدء الصحيح.

أولاً: باختيار المعلم هذا أول خطوة صحيحة في التعلم اختيار المعلم، لأنك إذا اخترت المعلم وضعت رجلك في الطريق الصحيح، فالذي آمن والتحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل هو كمن بقي على دين آباءه وأجداده لا، لا يستويان، فالذي آمن وأول ما يجلس مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد وضع رجله في الطريق الصحيح، فاختار هذا المعلم الذي علمه ربه - تبارك وتعالى - فوفق إلى الصراط المستقيم، فيجب عليك أيها الطالب إن كنت مستقلاً أن تبدأ بحسن الاختيار للمعلم، وإن كنت صغيراً فنحن نوصي بك أباك أن يختار لك المعلم ويجب أن يكون الاختيار للمعلم السني السلفي الأثري وبيتعد عن المبتدعة وأهل الأهواء، فإن هذا تستفيد منه من هديه وسمته ومنظره ومدخله ومخرجه في أول الطلب أكثر مما تستفيد من علمه والعلم يأتيك تدريجياً، فأول خطوة صحيحة أن تحسن اختيار المعلم ثم بعد ذلك ما بعده يكون بإذن الله بمشورته.

فالمعلم يدللك على الكتاب ويدلك على العلم، يدللك على ماذا يجب أن تبدأ به من العلوم وفي كل علم بماذا تبدأ من الكتب فإذا رجعت المسألة إلام ؟ إلى أول خطوة تقوم بها صحيحة وهي اختيار المعلم فالأمناء على دين الله هم أصحاب السنة والأثر وراثُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم بعد ذلك التدرج بأن تبدأ بصغار العلم قبل كباره، تبدأ بالمتون المختصرة في كل فن فمثلاً تبدأ:

أولاً: إن كان الابن صغيراً فحفظه أولاً قصار السور، ثم جزء عم ثم جزء تبارك ثم قد سمع حتى تصح قراءته وذلك لقصير الآيات والفواصل فيها ثم يحفظ معها أهم المتون المختصرة في التجويد حتى يتقن القراءة وتجميل قراءته كتحفة الأطفال للجمزوري،

يقول راجي رحمة الغفور ... دائماً سليمان هو الجمزوري

الحمد لله مصلياً على ... محمد وأهله ومن تلا

وبعدُ هذا النظم للمريد ... في النون والتنوين والمدود

إلى آخره، ثم بعد ذلك الحفظ، إذا لم يكن حفظ فلا علم لا بد من الحفظ،
والصغر أهم ما يجب أن يعتنى فيه بالحفظ لأن الحفظ في الصغر كالنقش
في الحجر والصغير عقليته ضيقة ما تتسع للشرح، لكن حافظته قوية
تستوعب الحفظ، فإذا ابدأ به من الطريق السهل عليه فتحفظه بعد ذلك
يستنزف هذا المحفوظ، والحفظ كما قلت لكم مرات وكرات اليوم محارب،
يقولون ما عندهم إلا تلقين تلقين إلى آخره نعم، تلقين تلقين إلى آخره
حتى نموت ونحن نلقن شهادة أن لا إله إلا الله، فالتلقين معنا من الصغر إلى
الكبر إلى الوفاة هذا ما هو عيب.

لكن هؤلاء أرادوا أن يضيعونا فلا يبقى لنا مخزون ولا ثروة نستند إليها وحينئذ
نكون مفلسين فيسهل عليهم أن يجرونا فلا بد من الحفظ، بعد هذا ما يحفظ
من كتاب الله إن أمداك تدخل معه الأشياء الأخرى أو في الصغر هذا إذا كان
صغيراً أنهيت معه القرآن، وإن كان قد تجاوز ذلك أشركت معه بقية المتون
فتبدأ في العقيدة بالقواعد الأربع، ثم الأصول الثلاثة، ثم كتاب التوحيد، ثم
العقيدة الواسطية، ثم تلخيص الحموية، ثم بعد ذلك تقرأ ما شئت، الأمر
سهل من كتب اعتقاد أهل السنة، تأتي إلى الحديث الأربعين النووية ونحن

نبدأ بها مع أبنائنا وأطفالنا حتى في المدارس النظامية كثير منها مبثوث في الكتب المقررة في الحديث، فيبدأ بهذا المتن المبارك الأربعين النووية، ثم ينتقل إلى عمدة الأحكام، لم نقول عمدة الأحكام بعد الأربعين النووية؟ لأن الأربعين النووية في جملتها صحيحة، وعمدة الأحكام صحيحة وهو في هذه السن المبكرة ما يستوعب التصحيح والتضعيف فتعطيه هذه الكتب لأنها قد أتقنت والله الحمد. ثم بعد ذلك يقرأ إذا تقدم به السن يقرأ بلوغ المرام، يقرأ منتقى الأخبار، يدخل في الأمهات هذا باب آخر، المعلم يرتبه له على حسب سنه.

هكذا في النحو، يأخذ الآجرومية ثم يأخذ العوامل في النحو مئة، ثم بعد ذلك ينتقل إلى ملحة الإعراب، ثم ألفية ابن مالك، ثم لا يضير أن يقرأ أي كتاب،

ثم تأتي إلى أصول الفقه الورقات إذا قرأت الورقات بعد ذلك تنتقل على حسب ما أخذنا نحن إلى وسيلة الحصول لشيخ شيوخنا الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - ثم بعد ذلك قرأنا روضة الناظر لا يضيرك بعد ذلك أن تقرأ أي

كتاب ومن الكتب الجميلة في هذا الكوكب المنير وشرحه في أصول الفقه فهو من الكتب الجميلة وكذلك الشروح عليه، فينبغي للإنسان أن يهتم بهذه الكتب، وهكذا في بقية الكتب في الأصول، وكما قلت لكم من أحسنها الكوكب المنير وشرحه شرح الكوكب المنير، وكذلك شرح المرداوي عليه وهو «التحويو» فهذه من الكتب الجميلة في أصول الفقه، ومذكرة الشيخ- رحمه الله -محمد الأمين الشنقيطي العلامة البحر الحبر المعروف على روضة الناظر لابن قدامة فهي مهمة جدًا ينبغي لطالب العلم أن لا يغفلها ويطلع وبقراً فيها،

أصول الحديث يبدأ بنخبة الفكر ولا أحسن من شرح نزهة النظر عليها لصاحبها لأنه كما قال ربُّ الدارِ أدري بما فيه، فإذا أتقنها مع النزهة قرأ بعد ذلك التقريب للنووي مع شرحه تدريب الراوي في شرح تقريب النووي للحافظ السيوطي وهو من أنفع الكتب وأوعبها على هذا الكتاب مع وضوح العبارة وإشراقها،

ثم بعد ذلك لا يضيره أن يقرأ في أي كتابٍ من كتب علوم الحديث للباحث
الحديث على اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر، ومثل شروح ألفية
العراقي لشرح العراقي نفسه ومثل التقييد والإيضاح على كتاب ابن الصلاح
للحافظ العراقي، ومثل كتاب فتح المغيث لشرح ألفية الحديث وهو أوسع
كتاب في علوم الحديث فيما أعلم للحافظ السخاوي على ألفية العراقي في
علوم الحديث، لا يضير بعد على ذلك أن يقرأ في أي شيء من الكتب بعد
الكتب الأصيلة التي ذكرناها،

هكذا إذا جئت إلى التفسير، مقدمة التفسير في أصول التفسير لشيخ الإسلام
ابن تيمية، كتاب أيضاً أصول التفسير للشيخ محمد فهذه من الكتب النافعة
جداً في أصول التفسير ثم بعد ذلك يقرأ في الكتب الأخرى لا يضيره لأن
هذه الكتب الصغيرة التي ذكرت على أصول اعتقاد أهل السنة، ثم بعد ذلك
لا يضير أن يقرأ في البرهان في الإتيان، البرهان للزركشي، الإتيان للسيوطي
وفيها ما فيها فإذا لم يتسلح من قبل وقع فيما أصّلوه وقرروه من الأخطاء ومن
البدع التي جاءت فحينئذ لا يسلم منها،

كذلك فيما يتعلق بالفقه الأمر فيها واسع، فالإنسان يبدأ في بلده بالمتن الذي يدرس في بلده، وأولى ما يكون من الفقه والمتون ما كانت ممتونة من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقصد بذلك متون الثلاثة مالك والشافعي وأحمد فإنها غزيرة العلم لأنها قائمة على الأدلة بخلاف متون أهل الرأي فإنها قليلة الأدلة أضعيفة الأدلة فالذي أوصي به هذا

دين النبي محمد آثار..... نعم المطية للفتى الأخبار

لا تخدعن عن الحديث وأهله..... فالرأي ليلٌ والحديث نهارٌ

ولربما جهل الفتى طرق الهدى..... والشمس طالعة له أنوارٌ

يتعب نفسه في القياس ونحوه والمسألة فيها نصوص، وذلك لعدم اعتناؤه بالنظر في النصوص وجمع النصوص والاهتمام بالكتب التي روت حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيتعب في الأخير يجد نصًا ينقض ما بناه، فلئن كان الأولون معذورون كأبي حنيفة - رحمه الله - ومن كان في عصره بأن السنة لم تجمع ولم تُدون فما عذر المتأخرين اليوم لا عذر لهم، لئن عذر الأول فالمتأخر لا يعذر، إلا التقليد نعوذ بالله من شؤم التقليد،

وهكذا أيضًا أوصي بأن يتعلم مع العلم الأدب فإنه إذا لم يكن العلم يزينه
الأدب فهذا العلم حينئذ فيه ما فيه، ويقول يحيى بن أبي كثير ويروى عن عبد
الله بن المبارك أيضًا وهو متأخر عنه " نحنُ إلى كثير من الأدب أحوج منَّا إلى
كثير من العلم " ويقول الشاب ابن المبارك " تعلمتُ الحديثَ عشرين سنة
وتعلمتُ الأدب ثلاثين سنة "

وقيل للشافعي في هذا يعني في تعلم الأدب فقال " إي والله فليل ما منزلته
عندك قال وددتُ والله ليلذكر الأدب فأود أن لي لكل عضو مني سمع حتى
أتلذذ به في سماع هذا الأدب " كل عضو يتمنى أن له سمع مستقل حتى
يتلذذ به في هذا الجانب فنحنُ إلى كثيرٍ من الأدب أحوج منَّا إلى كثير من
العلم والكلام في هذا يطول، ولكن يعود الأمر كما قلت لك إلى المدرس
فعليك إذا وفقت في المدرس فعليك أن تسأله وقديمًا قيل:

وماحوى الغاية في ألف سنة شخصًا *** فخذ من كل فن

أحسنه

بحفظ متن جامع للراجح *** تأخذه على مفيد ناصح

فلا بد أن يكون المعلم مفيدًا لك وناصحًا لك بمنزلة الأب ينصحك ويختار لك الأصح وعلماء السنة هم المؤتمنون في هذا فلا تبغي به بديلاً.

السؤال:

وهذا يقول نطلب النصيحة منكم بمناسبة قرب الاختبارات وتصحيح النية في الاستعداد لها؟

الجواب:

هذه الدراسة النظامية يحصل فيها ما يحصل ولكن يأبى العلم في النهاية أن يكون إلا لله،

لأنه كلما تقدم الإنسان في التعلم كلما أطلع على النصوص المحذرة والمرهبة له من أن يكون مقصوده بهذا العلم الدنيا،

فحينئذ تستوي عنده الوظيفة وعدمها، فإذا استوت عنده الوظيفة وعدمها وكلفته وقلبه ومهجته وعلاقته كلها متعلقة بهذا العلم لا يساوي شيء ولا ألد

عنده منه فحينئذ قد صحت النية، وهذا الذي إن شاء الله يحصل لطالب العلم إن هو اطلع على هذا،

فطلب العلم نية، الابتداء في طلبه نية ويورث إن شاء الله هذه النتيجة والمرء في معالجة مع نفسه يقول سفيان - رحمه الله - "ما عالجتُ شيئاً أشد علي من نيتي"

السؤال:

هذا يقول هل يستدل بحادثة تحويل القبلة في مسجد قباء على أن من استقبل غير القبلة ناسياً أو جاهلاً صلاته صحيحة؟

الجواب:

إذا جاءه الخبر وهو في صلاته فإنه يستدير ويستقبل

يستقبل القبلة من لها اهتدى *** وتائه عليه أن يجتهد

وحيث بان مخطئاً فليستدر *** وليدنو من سترته كما أثر

فإذا بان مخطئاً استدار إلى القبلة وصحت الصلاة إن شاء الله، أما إذا كان جاهلاً واجتهد وصلى ثم بعد ذلك تبين له أنه أخطأ فإن كان في حينه عاد الصلاة وإن كان قد بعد فصلاته صحيحة والله لا يكلفه بأكثر من ذلك، فالآن نتيجة الحفظ سمعتموه.

السؤال:

يقول هذا السلام عليكم دائماً يذكر شيخنا الشيخ صالح السحيمي قول " الغاية تبرر الوسيلة يعني يقول فما هو معنى هذا الكلام نرجو التوضيح ؟

الجواب:

ينتقد هذه القاعدة أو هذه الجملة لأنها ميكافيليق " الغاية تبرر الوسيلة " يعني إذا كان الغاية تريد أن تصل مثلاً إلى التجارة أن تكون أتجر الناس، يجوز لك أن تفعل بأي وسيلة بالنصب بالاحتيال بالي آخره، تريد الحكم يجوز لك أن تغتال يجوز لك أن تغش أن تفجر أن تنقلب أن تخون أن تنزع البيعة إلى آخره فالغاية تبرر الوسيلة، يعني كل وسيلة توصلك إلى غايتك تستخدمها،

وللأسف قد حصل هذا من بعض من يسمون بالدعاة حيث قال " كل وسيلة استخدمها الغرب ونجح في إيصال ثقافته فنحنُ أولى بأن نستخدمها لنشر الإسلام " هذا غير صحيح هذا قيل في عام ألف وأربعمئة وأربعة عشر يوم كان الوطيس مشتد بين أهل السنة الأثرين وبين الخوارج القطبين السرورين فكان هذا من الزبد الذي قذفوا به في ذلك الحين نعم، فهذا معنى كلام الشيخ يحذر من هذه العبارة.

السؤال:

وهذا يقول نرجو من فضيلتكم أن تقرأ من نظم الشيخ حافظ ؟

الجواب:

الوقت لا يتسع له هنا ولعلك إن شاء الله تعالى ترجع إلى ما هو مسجل.

السؤال:

وهنا يقول إذا كان ما تفضلتم به من فضل العلم، إذا كان طالب العلم في رحلة طلب للعلم لكن اشتدت به شهوته ولا يستطيع الزواج في هذه البلاد

فهل يرجع إلى بلاده مع أن هناك السبل غير ميسرة للعلم كما هي هنا بل قد

لا يوجد في مدينته طالب علم ؟

الجواب:

نقول له ارجع إلى بلدك وتزوج وحصن فرجك وبعد ذلك ارحل مرة أخرى في

طلب العلم، لأن هذا واجب الآن عليك فالتزويج يمر بالأحكام المراتب

التكليفية الأربع:

يكون واجباً ومندوباً ومحرمًا ومكروهًا ومباحًا الخامس، فهذا واجب عليك

((مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ

يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ)) فأنت حينئذ محتاج فيجب عليك أن

تغض بصرك وتحصن فرجك وإن شاء الله تعالى تُحصل فيما بعد.

والله أعلم وصلى اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.



العلماء ورثة الأنبياء

لفضيلة الشيخ:

محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ آل عمران ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴿ النساء ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿ الأحزاب ﴾

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ-، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

أيها الإخوة في الله:

الأصل أن الكلمة هذه كما سمعتم في تقديم المقدم أحنينا الشيخ جميل درّاج-
جزاه الله خيراً-، أنها لصاحب الفضيلة الشيخ العالم الفقيه صالح بن سعد
السحيمي-حفظه الله-، ولكن لله-سبحانه وتعالى-القدرة التامة، والمشیئة النافذة ﴿وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ (٢٩) ﴿التكوير﴾.

الشيخ كان معي على اتصال إلى قبل المغرب بساعة على أساس الالتقاء هنا،
ولكن! في الساعة السادسة والرّبع تقريباً أو عشر اتصل بي ويخبرني بظرف خاص قاهر
حصل له لا يستطيع معه الحضور.

فقلت:

وَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ وَقْدُرٍ وَالْكُلُّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرٌّ

فالحمد لله على كل حال، قال: ما اتصلت لهذا ولكن اتصلت لأنبيكم، قلت:
هذه أيضاً أخرى، على كل حال: لن تجدوا عندي ما كنّا نؤمله جميعاً عند فضيلته-
حفظه الله-، ولكن! العور ولا العمى، فلأن نكون بعين خير من أن لا نكون بكتليهما.

فالشاهد:

قلت: نسأل الله-جل وعلا-الإعانة والتوفيق، فأبلغكم سلامه واعتذاره.

وهذه الكلمة كما سمعتم عنوائها موضوعها عظيم، وشريف جدًا، وكيف لا يكون كذلك وهو أصل الحياة في هذه الدنيا وفي الآخرة، فالمرء إنما يسعد في دنياه وفي أخره بالعلم، والعلم إذا أطلق هو: العلم الشرعي الذي جاء به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأما ما عداه فلا يعرف ولا يعلم إلا بالإضافة، علم النحو، علم الفلك، علم الطب وهكذا، أمّا إذا أطلق العلم فهو: العلم بكتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، هذا الذي ورّثه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، بل والأنبياء جميعًا من قبله-صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

فقد جاء في حديث أبي الدرداء-رضي الله تعالى عنه-: أنه كان في مسجد دمشق جالسًا فجاءه رجل من هذه المدينة (مدينة النبي-صلى الله عليه وسلم-) يسأله عن هذا الحديث الذي انتزع منه عنوان هذه الكلمة الليلة (العلماء ورثة الأنبياء).

جاءه يسأله عن هذا الحديث، سافر من هذه المدينة المباركة إلى دمشق الشام لا لشيء إلا لهذا الحديث، فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول-صلى الله عليه وسلم-لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ما جئت لحاجةٍ، فقال له أبو الدرداء-رضي الله عنه-: فإني سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: ﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا...﴾، وعند أبي داود ﴿...يَطْلُبُ

فِيهِ عِلْمًا...¹ ﴿...سَلِّكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ...﴾ وفي لفظ أبي داوود بدون إنما ﴿...وَرَّثُوا الْعِلْمَ...﴾ ﴿...فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ﴾².

جاء عند ابن ماجه-رحمه الله تعالى-في السنن³: أن هذا الرجل إنما قال: ما جئت لحاجة بناءً على سؤال أبي الدرداء له، قال له-رضي الله عنه-: ما جئت لحاجة؟، قال: لا، قال: ولا لتجارة؟، قال: لا، فضيق عليه، قال: ولا لشيء إلا لهذا الحديث؟، قال: ولا لشيء إلا لهذا الحديث، قال حينها: (فإني سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول:...) وذكر هذا الحديث.

فكم في هذا الحديث من المناقب والفضائل والشرف لعلماء الشرع المطهر.

أولاً: أن الملائكة تستغفر لهم.

وثانياً: يستغفر لهم كل من في السماوات ومن في الأرض.

وثالثاً: حتى الحيتان في جوف الماء.

¹ (سنن أبي داود/ كِتَاب الْعِلْمِ / من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة / 3641).

² (سنن الترمذي/ كِتَاب الْعِلْمِ/ فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد / 2682).

³ (سنن ابن ماجه / كِتَاب الْمُقَدَّمَةِ / من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة / 223)

ورابعًا: بَيَّنَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فضلهم، وشبَّههم بالقمر ليلة
البدر-يعني: مثل البارحة-على سائر الكواكب، وذلك لعموم انتفاع الناس بهم، وعظمة
النور الذي يحملونه فيهدون به الناس، والنور الذي يحملونه هو نور الوحي.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِنَّا وَلَا
الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى)

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام)

فصراط الله هنا المضاف إلى ياء المتكلم ﴿...صِرَاطِي...﴾ جاء مبينًا في
الآيات التي قبل قليل تلونا بعضها ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٥٣﴾ (الشورى)

هذا الصراط الذي أمرنا أن نسأله ربنا كل يوم وليلة في الصلوات المفروضة علينا
خمس مرات في اليوم والليلة، ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الفاتحة)

فالعلماء فضلهم على الناس كبير، ونفعهم لهم عميم، فكما أن نفعهم متعدٍ
استحقوا هذه المكانة، ومن أعظم الشرف الذي ثبت لهم أن رسول الله-صلى الله عليه

وسلم- لم يجعل وارثاً له سواهم، فقال-عليه الصلاة والسلام: ﴿... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ
الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ
وَافِرٍ...﴾.

هذا العلم هو: علم السنة النبوية، التي قال فيها رسول الله-صلى الله عليه
وسلم: ﴿أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَيَّ أُرِيكَتِهِ يَقُولُ:
عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ
فَحَرِّمُوهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ⁴، فهذا
العلم هو الذي ورثه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

فإذا أطلق العلماء معشر السادة:

فلا يراد بهم إلا علماء الشريعة، ما يمكن أن تفهم عالم طب من كلمة العلماء
أبدًا حتى يقال لك هذا عالم طب-طبيب-، هذا عالم فلك-فلكي-، هذا عالم هندسة-
مهندس-، أما اللفظة هذه العلماء إذا أطلقت فهي لا تنصرف إلا إلى حملة الكتاب
والسنة النبوية.

العلم الشرعي: الذي يفيد صاحبه معرفة ما يجب عليه من أمر عباداته،
ومعاملاته، وما يجب لله-تبارك وتعالى-من الأسماء والصفات، وما يجب له القيام به من
الأوامر، وما يجب له علينا من التنزيه عن النقائص، التي لا يجوز أن تنسب إليه على

⁴ (الترمذي/ العلم: 2664، أبو داوود/ السنة: 4604، ابن ماجه/ المقدمة: 12)

حد قوله-تبارك وتعالى:- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ (الجمعة)

وعلى حد قوله-تبارك وتعالى:- ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى)

فهذا العلم: هو العلم الموروث عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

واستفتح النبي-صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث بالتبشير لطالبه قبل أن يبلغ

درجة العلماء، بالخير العظيم والأجر العميم ﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ

اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...﴾

فهذه الجملة معشر الإخوة:

فيها التنبيه على قول من يقول: (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل)، فيتهاون حينئذ

الإنسان بأمر العلم ويتساهل في طلبه، فحتى لا يسبق إلى الأذهان مثل هذا بدأ رسول

الله-صلى الله عليه وسلم- بهذا التنبيه العظيم، وهو أن هذا العلم من أول وهلة، من حين

ما تضع رجلك أول خطوة في الطلب فقد بدأت في الطريق إلى الجنة، فمجرد السلوك

نفع، مجرد البدء في الطلب نفع، مجرد المشي والدخول والانتظام في هذا الإطار-إطار

العلم وأهل العلم وموكب العلماء-أنت بدأت تحصد الأجر.

فكيف بك إذا وصلت إلى الفقه والمعرفة في دين الله وأصبحت طالب علم، ثم

طالب علم متمكن، ثم عالم معلم، فقيه مفتٍ، علامة مرجعًا للمسلمين، هذا أعظم

وأعظم، فإذا لا بد من ذلك، لا بد من مثل هذا التنبيه، وهذا فيه رد على ما نسمعه، يا أخي إذا ما نفعك العلم فاتركه غير صحيح، بداية الطلب عليها الأجر، أول ما تسلك يأتي الأجر ﴿...سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا...﴾⁵.

فبهذا العلم يعلم الإنسان أن قد وضع رجله في مسار الطريق الصحيح في مساره في الطريق الصحيح، فمجرد الطلب والسعي في تحصيل العلم يحصل به الأجر، فينبغي للإنسان أن لا يتهاون وأن لا يتكاسل في تحصيل هذا العلم، والنَّصَب في جمعه والاستفادة من أهله ما داموا أحياء، لأنه إذا بَكَرَ علا وإذا تأخر نزل فلا بد له أن يبكر، ولا يتوانى ولا يَكْسَل إذا سمع مثل هذه البشارة في المقدمة.

والعلم الشرعي معشر الإخوان، يدور على ثلاثة أركان:

- ١ - على التفسير.
- ٢ - والحديث.
- ٣ - والفقهاء الذي هو: الثمرة.

التفسير: تفسير كتاب الله-تبارك وتعالى-، ما فيه من أحكام، أوامر ونواهي، ما فيه من الأمر بالتوحيد لله-تبارك وتعالى-، والنهي عن ضده الشرك، ما فيه مما بينه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بسنته المطهرة من التوحيد الواجب على كل عبد أن يقوم به لله-تبارك وتعالى-، فيعرف هذا التوحيد وما ينافي أصله وما ينافي كماله.

^٥ (صحيح مسلم/ كتاب الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/باب فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ: 2699)

ثم يعلم الأحكام الشرعية من كتاب الله-تبارك وتعالى-، فيتفقه في دين الله-جل وعز-مبتدئًا بكتاب الله-تبارك وتعالى-، متفهمًا معاني الآيات وهذا لا سبيل إليه إلا بالتفسير.

وكتب التفسير على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تفسير بالمأثور.

القسم الثاني: وتفسير جامع بين المعقول والمنقول، بالمأثور وبالعقل، الصحيح الصريح.

القسم الثالث: وتفسير قد خلا من هذا وذاك، فينظر إن كان مائلًا إلى اللغة العربية يشرح كلمات القرآن وألفاظ القرآن على حسب لغة العرب، فإننا نأخذ من لغة العرب ما وافق أمر الشارع-صلى الله عليه وسلم-، وما خالفه نقول: اختلفت الحقيقة اللغوية والشرعية، فالحقيقة الشرعية مقدمة، فهذه الكتب لا غنى بنا عنها، الكتب التي فسرت القرآن بلغة العرب وهذا وجه من أوجه التفسير، وجه تعرفه العرب في لغتها كما جاء عن ابن عباس.

وقسم آخر ليس فيه إلا الآراء وكلام المتكلمين، فهذه التفاسير مظلمة مليئة بالبدع والمحدثات، لا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بها ولا يضيع أوقاته فيها.

بعد ذلك الحديث: سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-هي المفسرة لهذا الكتاب، المبينة له، المقيدة لما أطلق فيه، المخصصة لما عمّ فيه، الشارحة لهذا الكتاب، والجائية بأحكام مستقلة، فالاطلاع الأول على التفسير، والاطلاع الثاني على كتب

الحديث تخرج منه بالأمر الثالث وهو النتيجة: الفقه في دين الله-تبارك وتعالى-، فالعلم مداره على هذه الأركان الثلاثة:

- ١ - التفسير.
- ٢ - والحديث.
- ٣ - والفقه وهو: الثمرة.

والناس محتاجون إلى هذا أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

قال الحسن بن صالح-حسن بن صالح بن حي-شيخ وكيع: (إن الناس محتاجون إلى هذا العلم في دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب).

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: (بل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب في دنياهم، لأن الطعام والشراب إنما يقوم به الجسم، والجسم منتهاه إلى القبر تأكله الديدان، أما العلم فيقوم به دين الإنسان فيسعد في دنياه ويسعد في أخراه، فإذا كان هذا الأمر كذلك فحينئذ يجب على الإنسان أن يعد كل ما يستطيع من نشاط وقوة ليتوصل إلى هذا العلم الذي يرث به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-).

ولهذا عليه الصلاة والسلام نكّر في الحديث الطريق فقال: ﴿...مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا...﴾، ونكّر أيضًا العلم ﴿...يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا...﴾، فنكّر إيش؟، الطريق المسلوک، ونكّر المقدار المطلوب فقال: ﴿...طَرِيقًا...﴾ وقال: ﴿...عِلْمًا...﴾، فالتنكير لقوله: ﴿...طَرِيقًا...﴾ يفيد العموم، والطرق في تحصيل العلم الشرعي كثيرة:

١ - منها: الأخذ على الأشياخ، والالتقاء بهم.

٢ - ومنها: الرحلة إليهم في بلدانهم.

٣ - ومنها: المكاتبه فيما ليس عندك فيه علم وبلغك عن بعضهم فتكتب إليهم فيكتبون إليك.

فكل طريق يؤدي إلى تحصيل العلوم الشرعية والدينية دخل تحت هذه اللفظة ﴿...طريقًا...﴾، فهي مُنكَرَةٌ فأفادت العموم.

وهكذا العلم ﴿...يَلْتَمِسُ...﴾ أو ﴿...يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا...﴾، جاء مُنْكَرًا فتناول جميع ما حصَّله من العلم القليل والكثير فهو مأجور عليه، وفي ذلك بشاره بتسهيل طلب العلم على طالبه إذا هو بدأ فيه، فليستبشر طلبة العلم بهذا ﴿...سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...﴾.

فالتسهيل بالطريق أو للطريق إلى الجنة معناه: تسهيل لطلب العلم الذي تعرف به الطريق إلى الجنة، فالجنة طريقها صعب.

قَدْ حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارُ بِالَّذِي النُّفُوسُ تَشْتَهِي

مَعَ أَنْ كُلِّ مِنْهُمَا إِلَيْنَا أَدْنَى مِنَ الشَّرَّكَ فِي نَعْلَيْنَا

فالمكاره هذه ما بينها لك، ويصبرك عليها، ويسليك في تحملها، إلا قراءتك

للعلم، فتقرأ ما أعد الله-جل وعلا- لأهل العلم من الأجر لقاء نصبهم وتعبهم في سبيل

تحصيل هذا العلم، وما أعده الله-جل وعلا- لأهل العلم والسالكين في تحصيله في قبيل
تحملهم العناء من الناس، الذي يلحقهم في بيان العلم لهم وأمرهم ونهيهم.

فالشاهد:

يجب على طالب العلم أن يفرح بهذه البشارة، وإذا سمع مثل هذا فإنه تنشط
نفسه إلى الطلب، لأن الطلب فيه أحياناً ثقل النفس، النفس تهوى، والنفس تشتهي،
والنفس تحب الدعة، والنفس تحب الراحة، ولكن! صاحب العلم في معاناة مع هذه
النفس، يزمها للخير وهي تدعوه إلى ضده، ولا يأتي شيء إلا يجهد ونصب وبتعب،
فبقدر ما يُحْصَلُ منه من التعب بقدر ما يُحْصَلُ من المثوبة عند الله، وأيضاً يحصل من
الخير في هذا العلم وفي هذا الباب الذي تفرغ لسلوكة.

وكيف يتوانى أهل العلم في طلبه وتحصيله والني-صلى الله عليه وسلم- يبشرهم
بأن أعظم مخلوقاته وهم الملائكة يضعون أجنحتهم لأهل العلم، ولطلبة العلم، رضاً بما
يصنعون؟، يتواضع هذا المخلوق العظيم الذي جُبلَ على طاعة الله-تبارك وتعالى-

﴿...بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنبياء)

هؤلاء هم الملائكة، خاضعون لله عابدون لله-جل وعلا- ﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ

مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم)، هذا الخلق العظيم المبارك مع

هذه المنزلة العلية العظيمة التي لهم عند الله-تبارك وتعالى-، وبينها الله-جل وعلا-في

كتابه وفي سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، مع ذلك يجبون طالب العلم، ويجبون أهل

العلم، ويتواضعون لهم، فيضعون أجنحتهم لطلبة العلم ولأهل العلم توقيراً للعلم
وتعظيماً لحقه واحتراماً لأهله، فيخفضون لهم الجناح ويتواضعون لهم إشادة بفضلهم
واعترافاً بمكانتهم.

فإذا كان هذا منزلك أيها الطالب للعلم وأيها العالم فكيف تتنازل عن
هذه المنزلة وترضى بغيرها؟.

العاقل: إذا سمع هذه الجملة وتأملها حق التأمل، وتدبرها حق التدبر علم أنه لا
شيء في هذه الحياة يعدل العلم، ولا شيء يدانيه أبداً، فضلاً عن أن يوازيه أو يفوقه
فيئذ فيه كل ما يستطيع من مال، وصحة، وجهد، ووقت، لا يقدم على ذلك إلا
الضرورات التي لا تقوم حياته إلا بها، هذا هو العاقل إذا سمع مثل هذا بذل فيه جهده،
ووقته، وصحته، وماله، ولا يقدم عليه شيئاً من أمور الدنيا إلا الضرورات التي لا يقوم
إلا بها.

فإذا كان هذا حال الملائكة مع أهل العلم، مع طلبة العلم، فكيف
بالعلماء؟.

فيا معشر الإخوان:

ينبغي أن يشاع مثل هذا الحديث، ويتأمل، ويتدبر حق التدبر، هذا يكتب فيه
كتاب مجيليد في جمع ما فيه من الفضائل، لو تأملناه حق التأمل حقيقةً فما وجدت
طالب علم كسلاناً.

فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لم يعرف الكسل في حياته قط يوماً واحداً
ولا لحظة واحدة، حياتها كلها جهاد وتعلم وتعليم ﴿...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء)، من الفجر إلى
الظهر وهو قاعد في أصحابه يعلم-صلوات الله وسلامه عليه-.

فحينئذٍ ينبغي لطالب العلم أن لا يستكثر على العلم ما يهبه له من الأوقات،
وينبغي له أن يكون شحيحاً بوقته ظنيناً به لا يفرط فيه إلا فيما لا يقوم حاله إلا به،
وخلطته للناس ينبغي أن تكون على قدر بقدر الحاجة والمصلحة، مصلحته مع الناس
ومصلحة الناس في حاجتهم إليه، وبحاجته التي يحتاج إليها في التنفيه عن نفسه والترفيه
عنها ساعة بعد ساعة فيما أحله الله وأباحه، يستجم فيعود بعد ذلك مستعيناً بذلك
على طلب العلم وتحصيله.

فهذا فضل عظيم لأهل العلم، وقد أبان الله-جل وعلا-فضلهم في هذه الناحية
قد ذكرت هذا مرة أو مرات لبعض إخوانكم الذين درستهم في الكلية عند هذا
الموقف، ما الذي حصل ممن يستهزئ بأهل العلم، وما الذي حصل له في حينه.

أخرج الطبراني في السنة وهو مفقود ونسأل الله-جل وعلا-أن يعجل بإظهاره
وهو من أعظم الكتب (سنة الطبراني)، ورواه الخطيب من طريقه في كتاب (الرحلة في
طلب الحديث) عن زكريا بن يحيى الساجي الحافظ-رحمه الله-قال: (كنا نمشي في أزقة
البصرة إلى باب بعض المُحدِّثين فأسرعنا المشي، وكان معنا رجلٌ ماجنٌ... أي: فاسق

(...متهم في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها...) يستهزئ بطلبة العلم.

واليوم كم نرى ممن يستهزئ بطلبة العلم، وأهل العلم، والعلماء ويطعن فيهم؟، وغالبًا ما ترى أن الله يعاجل هؤلاء بالعقوبة.

الشاهد:

يقول الحافظ زكريا بن يحيى الساجي-رحمه الله-عن هذا، يقول: (...وكان معنا رجلٌ ماجنٌ...) أي: متهم في دينه يعني: فاسق (... فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ، فما زال في موضعه حتى جفت رجله وساقاه) هذا بالإسناد الصحيح، سقط، هذا صاحب القصة يحكيها جفت رجلاه: يَيْسَتْ، وسقط، عاجله الله إيش؟، بالعقوبة وأرى الناس فيه عاجلاً غير آجل، فأبي فضل أعظم من هذا الفضل لطلاب العلم وأهل العلم المسابقين إلى تحصيله والباذلين.

والمقصود معشر الإخوان:

أن هذا العلم-العلم الموروث-عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أهله أشرف الناس، لأنهم ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، الذي يرث الفاضل يناله من فضله، والذي يرث الفاجر يناله من فجوره.

وهنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لم يجعل أحداً وارثاً له إلا العلماء، قال:

﴿... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا﴾، ﴿إِنَّا مَعَاشِرَ﴾

الأنبياء لا نُورثُ ﴿٦﴾ ... مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً... ﴿٧﴾، تمامًا ما يكون شيء من الدنيا ما يورثون، ما تركوه صدقة، لكن! ورثوا هذا العلم الذي لا يمكن أن ينتهي، ولا يمكن أن يقدر بثمن من الأثمان.

فإذا كان هذا ميراث النبي-صلى الله عليه وسلم-وقد أخذت به أيها الإنسان استحقيت بإذن الله-تبارك وتعالى-أن يستغفر لك من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان يلهمها الله-جل وعلا-، هذه الحيوانات كلها في السماوات وفي الأرض، بل هذا الذي هو تحت الماء وهو: الحوت يلهمه الله-تبارك وتعالى-الاستغفار لهذا الوارث لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

فبالله عليكم من بلغ هذه المنزلة؟، أسألكم أجيوا!، من بلغ هذه المنزلة؟،
في أحد يستغفر له حتى الحيتان؟، كل من في السماوات ومن في الأرض يستغفر له، ثم بعد ذلك الحيتان في الماء، في أحد بلغ هذه المنزلة؟، أجيوا!، أحد بلغ هذه المنزلة؟.

إذًا: فمنزلة العلماء أعلى المنازل على الإطلاق، لأنهم قاموا في مكان النبي-صلى الله عليه وسلم-من بعده-عليه الصلاة والسلام-، فلما كان لا أحدًا يداي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في منزلته التي أنزله الله، كذلك لا أحد يداي ورثته-صلى الله عليه وسلم-وهم العلماء.

وما ذلك إلا جزاءً من الله-تبارك وتعالى-لهؤلاء العلماء الورث على عظيم صنعهم، وجميل فعلهم، وعظيم برهم وإحسانهم إلى الناس، حيث بينوا لهم الأحكام

^٦ أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة

^٧ (صحيح مسلم بشرح النووي/ كتاب الجهاد والسير/ لا نورث ما تركنا صدقة: 1757)

الشرعية، وما يحل، وما يحرم، وما يكره، وما يندب، وما يباح، هذه الأحكام التكليفية الخمسة.

فجازاهم الله-سبحانه وتعالى-على حسن صنيعهم من جملة جزائهم على هذا العمل العظيم، وعلى هذا الشرف الجميل في الناس وبين الناس جازاهم الله-سبحانه وتعالى-بأن جعل كل من في السماوات ومن في الأرض ومن تحت الماء يستغفر لهم، فهذه المنزلة هي منزلة العلماء عندنا نحن المسلمين.

﴿ فَضَّلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ﴾^٥ البارحة كيف رأيتم القمر البارحة؟، جمع بين أربعة أشياء:

- ١ - بين كمال الجمال حيث كملت استدارته وكمل القرص.
- ٢ - ثم: شدة الظهور للناس، حتى من ضعف بصره البارحة يراه، وهكذا العالم الحقيقي يعرفه الناس، ومن لم يره يسمع به، يطير في الناس خبره وذلك بسبب جميل أثره في الناس.
- ٣ - والثالث: شدة صفائه ونوره.
- ٤ - والرابع: قربه مع ارتفاعه، وهذا لا يكون في القمر إلا ليلة البدر، تراه قريباً ومع ذلك مرتفع، فالعالم قريب من الناس بفضل مرتفع عنهم لأجل المنزلة التي أنزله الله-سبحانه وتعالى-فيها.

^٥ (سنن أبي داود/ كِتَابُ الْعِلْمِ/ من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة: (3641).

وهذا حال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قريب إلى الناس كأحدهم إلى
جلس إلى أصحابه، عالٍ عليهم لمكانته التي أنزله الله فيها، فكانوا يعظمونه، ويجلونه،
حتى إن أحدهم يقول: يا بني والله لو سألتني أن أصف لك رسول الله-صلى الله
عليه وسلم- ما استطعت أن أصفه، ممّ؟، من شدة الحياء الإغضاء حياءً منه-صلى
الله عليه وسلم- أن يتملى في صورته وفي وجهه-عليه الصلاة والسلام-.

فهذه الأربعة جمعها القمر ليلة البدر وهي موجودة في العلماء الذين هم ورثة
الأنبياء، فحيث كان نفع العالم متعديًا إلى كافة الخلق بإحياء الدين وإظهار ما أرسل
الله به رسوله-صلى الله عليه وسلم- كان هذا العالم بهذه المنزلة، ففضله النبي-صلى الله
عليه وسلم- على العابد.

مع أن كل واحد منهما-العالم والعابد- قام بعمل جليل كريم يستحق عليه
التبجيل والإجلال والتكريم، فهذا عابد لله، قائم بما يجب عليه، ومسبق إلى ما يستحق
له، خائف مما حرم الله عليه مجتنب له، ومحاذر حتى من المكروهات التي إن غشيها ربما
جرته إلى الوقوع في المحرمات فهو من أفضل الناس طواعية لله-تبارك وتعالى- لكن! مع
هذا العالم أفضل.

وهذا يدلنا: على أن طلب العلم أفضل من نوافل العبادات، فإذا كان كذلك
فينبغي أن يكون صاحبه أفضل من الذي يصلي النوافل ويشغل بها طول الليل، لأن
هذا يشغل بما فيه نفع لنفسه وفيه نفع للآخرين، فيتعدى نفعه إلى الآخرين، وذاك
مشتغل بما فيه نفع لنفسه، فكانت الفائدة له في محيطه-في نفسه- فأشبه الكوكب نوره
في دائرته-في محيطه-.

أما القمر فلا مستنير في نفسه ونوره ساطع على الأرض، فهكذا العالم بتعلمه أحكام الله مستفيد في نفسه فهو أول من يعرف ما أوجب الله عليه وما أمره الله به، وأيضاً يصل ذلك ويوصله إلى الناس فيفقههم في دين الله، فهو أفضل ممن يقوم بالعبادة ولا شك النافلة، وذلك لأن هذه الصلوات، هذه النوافل، هذا الصيام، هذا الحج، هذه العمرة هي في حقه هو أجرها له هو ليس بمتعد إلى غيره.

أما الفقيه، أما العالم، أما المحدث، أما المفسر، فنفعه لعموم المسلمين وذلك لأنه تدبر كتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتبصّر فيهما فانتفع في نفسه ونفع إخوانه وبلغ دين الله-عز وجل-، فالعالم حينئذٍ للناس فيما يتعلق بأمر دينهم وديناهم، مثل ما يضيء لهم القمر ليلة البدر فيعم نفعه ويسطع في الأرض نوره، فيتعدى حينئذٍ.

ولهذا: كانوا في منزلة النبي-صلى الله عليه وسلم-، في عموم نفعه-عليه الصلاة والسلام-، وقد جاء ذلك مفسراً مصرحاً في سنن الترمذي-رحمه الله تعالى-.

فقد خرّج الترمذي في جامعه في كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، من حديث أبي أمامة-رضي الله عنه-قال: (... ذكر لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال-عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ﴾-رضي الله تعالى عنهم-وما فيهم من دني، ليس فيهم عاجز إلا بطل كما قال ابن الوردي-رحمه الله-.

فالشاهد:

يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-وقد ذكر له هذان عابد وعالم، قال: ﴿فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ﴾، فهذا الحديث: حديث حسن لغيره، وقد حسنه أيضًا الشيخ ناصر-رحمه الله تعالى-في صحيح الترغيب، وهذا من فضل العالم، شوف مات ونذكره الآن نستفيد من علمه فنوره مشرق من بعد رمسه.

هُمُ الْبُدُورُ وَلَكِنْ لَا أَقُولُ لَهُمْ بَلِ الشَّمْسُوسُ وَقَدْ فَاقُوا بِنُورِهِمْ
لَمْ يَبْقَ لِلشَّمْسِ مِنْ نُورٍ إِذَا أَفَلَتْ وَنُورُهُمْ مُشْرِقٌ مِنْ بَعْدِ رَمْسِهِمْ

ها هو مات ونحن نتهدي بما سطره لنا-رحمه الله تعالى-، هو وإخوانه أهل العلم لا نزال نستفيد منهم، فما مات من كتب وألف ونفع الناس وبين لهم هذا الدين.

قال ابن حبان-رحمه الله تعالى-في صحيحه، كما في الإحسان في المجلد الأول مائتين وواحد وتسعين، قال: (... هذا الحديث فيه بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرناه هم الذين يعلمون علم النبي-صلى الله عليه وسلم-دون غيره من سائر العلوم، ألا تراه-صلى الله عليه وسلم-يقول: العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا-صلى الله عليه وسلم-هو: سنته، فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء...).

صحيح أهل الكلام ليسوا من ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأهل الفلسفة ليسوا من ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، والمناطقة ليسوا من ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأهل الرأي ليسوا من ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، والمتقفون الذين

يسمون أنفسهم بالمتقنين لا يفرقون بين الموضوع وما في البخاري ليسوا من ورثة النبي-
صلى الله عليه وسلم-، وهكذا قولوا.

فكل من لم يعلم سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ويتشبث بها، ويزم نفسه
بزماتها، ويزهد في تفقهه فيها، ومعرفة صحيحها وضعيفها، والحرص على إن استدل
ألا يستدل إلا بالكتاب وبسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في كل ما يقول،
ويعرف هل هذا القول الذي استدل به أو هذا الحديث الذي استدل به صحيح عن
رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أو لا يصح، هذا هو الذي يقال فيه إنه وارث النبي-
صلى الله عليه وسلم-، أما الذي يجلس في المجلس ويهرف بما لا يعرف فهذا لا يعجز
فيه أحد، كل المتكلمين يستطيعون أن يتكلموا.

فالشاهد:

من تعرى من سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ولم يعرفها لم يكن من ورثة
رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ومن عرفها وأجهد نفسه في تحصيلها فقد أخذ بأوفر
الحظ ﴿...فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ﴾، من ميراث النبي-صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: (تدارس العلم ساعة من الليل خير من
إحيائها)، وهكذا ورد هذا اللفظ عن عدد من السلف-رحمهم الله تعالى-، جاء أيضاً
عن قتادة، وجاء عن الثوري، وجاء عن ابن وهب، هؤلاء من أشهر الأولين الذين
وردت عنهم مثل هذه العبارة.

يقول ابن وهب-رحمه الله:- (كنت جاساً في مجلس مالك أسأله، فرآني أجمع
كتبي...) أذن المؤذن (...فرآني أجمع كتبي لأقوم، فقال لي: أين تريد؟، قلت: أبادر
الصلاة، فقال-رحمه الله تعالى:- ليس هذا الذي أنت فيه...) يعني: السؤال عن العلم الآن
عندي في المجلس (ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صحت النية).

يريد أن يقوم يتنفل قبل إقامة الصلاة، فمالك قال، هو قطع السؤال ووقف،
مالك قال له-رحمه الله:- (... أين تريد؟، قال: أبادر الصلاة...) يتسنن قبل الصلاة،
(...فقال: ليس هذا الذي أنت فيه دون الذي تذهب إليه إذا صحت النية).

فدل ذلك: على أن العلم أشرف من نوافل العبادات، كالصلاة وغيرها إذا
صحت النية، إذا كان المقصود بهذا أن طالب العلم يستفيد، يرفع عن نفسه الجهل،
ينقل هذا العلم الذي تعلمه إلى غيره.

قال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير-رحمه الله:- (حظ من علم أحب إلي من
حظ عبادة) يعني: صلاة أو صيام أو غيرهم.

والشافعي-رحمه الله تعالى-يقول بصريح العبارة: (طلب العلم أفضل من صلاة
النافلة).

فهذا حال العلماء، هؤلاء هم ورثة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فنحث
على هذا الميراث العظيم ألا وهو: الاعتناء بسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-،
الفقيه إذا لم يكن له حظ من السنة ومعرفة الأدلة صحيحها وسقيمها ففقهه أعور، أو
أعرج، لم؟، لأنه تكثر المسائل المنتقضة عليه، يأتي بهذه المسألة يؤصلها يعترض عليه

معتز يقول: دليلك ضعيف، طاح، مثلها ثانية طاح، مثلها ثالثة طاح، فمشيه
كالأعرج.

فإذا: لا بد من معرفة سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

ارو الحديث ولازم أهله فهم الناجون نصا صريحا للرسول نمي

سامت منابرهم واحمل محابرهم والزم أكابرهم في كل مزدحم

اسلك منابرهمو الزم شعارهم واخط رحك إن تنزل بسوحهم

إلى آخر الأبيات التي تعرفونها من ميمية شيخ شيوخنا⁹-رحمه الله-، هؤلاء العلماء
العلماء هم ورث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وهذا الحديث أعظم حديث يتبين
من خلاله مكانة العلم والعلماء.

وإذا كان العلماء هم ورث الأنبياء فلا يجوز الاعتداء عليهم، ولا الطعن فيهم،
ولا التنقص من منزلتهم العلية التي أنزلهم الله إياها، ولا التعريض بهم بين الناس في
المجالس وذلك لعظيم حرمتهم، لأنهم قائمون مقام النبي-صلى الله عليه وسلم-.

ولا يجوز لأحد أن يحط من أقدارهم، ولا يحقرهم بين الناس، بل يجب أن يكرموا
غاية الإكرام، ويحلوا غاية التبجيل، ويُنزلوا المقام الأجل الذي أنزلهم فيه رسول الله-
صلى الله عليه وسلم-.

⁹ فضيلة الشيخ العلامة حافظ الحكمي-رحمه الله تعالى-

وإذا رأيتم الواحد ينتقص العلماء-علماء السنة- ووزّاث الرسول-صلى الله عليه وسلم-فاعلموا أنه زائغ، إذا رأيتم الواحد ينتقص العلماء ووزّاث النبي-صلى الله عليه وسلم-وحملة سنته، والمؤدين لرسالته، والمبينين للناس ما بعثه الله به-صلى الله عليه وسلم-فاعلموا أنه زائغ.

لأنه حينئذٍ لا يبغضهم لذواتهم، وإنما أبغضهم للعلم الذي معهم، وذلك لأنهم يأمرّون الناس بما يخالف أهوائهم، وشهواتهم، وهذا يريدون أن يبقوا على ما هم عليه من الأهواء والشهوات.

فالناس يتفلتون، والعلماء يحذرون ويمسكون الناس بالكتاب، هذه مكانتهم ورثة الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم-، وإذا كان هذا حالهم وهذه مكانتهم ومهمتهم فلا بد أن يصطدموا بأهل السوء.

وأيضًا يعرف أهل الأهواء والبدع بالوقية في علماء أهل السنة والأثر ووزّاث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فإذا رأيتم الرجل يطعن في حملة الآثار وعلماء السنة فاعرفوا أنه صاحب بدعة وهوى.

يقول أحمد، يقول للإمام الشافعي-رحمه الله-: (إذا رأيت الرجل يطعن في أحمد فاعلم أنه كافر، فليل له كافر؟، قال: نعم لأنه إنما أراد معاندة أحمد ما أراد معاندة شخصه إنما أراد معاندة السنة، ومن عاند السنة فقد رد على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهو كافر)، هذا هو شيخ أحمد.

ويقول أحمد في حماد بن سلمة: (إذا رأيت الرجل يطعن في حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام) لِمَ؟، قال: (لأنه يروي هذه الأحاديث) أحاديث الصفات (وإنما يقع فيه الزنادقة والمعطلة هؤلاء).

ولمَّا كتب إلى الخليفة المتوكل بحال الحنابلة طلبه الإمام أحمد-رحمه الله-وأثم يأمر الناس وينهونهم، وأثم...وأثم، يعني: وجدوا منهم مضايقة، قال: (لا ترفع إليّ على أحد منهم، وشد على أيديهم، فإنهم على الحق كانوا هم وإمامهم) يعني: أحمد بن حنبل.

فالتاعن في أهل الحديث ورّاث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-رجل منحرف لا خير فيه، فإن من طعن في ورثة النبي-صلى الله عليه وسلم-إنما أراد الوصول إلى السنة التي يحملونها ويدعون الناس إليها.

ولعلنا بهذا القدر نكتفي، وإن كنت لا أستطيع أن أوفي هذا حقه، ولعل الشيخ¹⁰ لو كان معنا لكان أحسن منا وأحسن، ولكن كما يقولون: ما لا يترك كله لا يترك جله.

فنسأل الله-سبحانه وتعالى-بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا وإياكم من السالكين هذا الطريق، المنتهين بوراثه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما أسأله-سبحانه وتعالى-أن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه، ويرزقنا الفقه في دينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

¹⁰ فضيلة الشيخ العالم الفقيه صالح بن سعد السحيمي -حفظه الله-

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه
وأتباعه بإحسان.

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الجمعة الموافق: 17/ جمادى الثانية/ 1432 للهجرة النبوية الشريفة.